سالت الكهربا. وجرت تجاري ملفّ رُمكورف الى ساكنين متماكنين لا فعل لهما في القابل على الغالفانومتر وهما يحرّكان هناك القلم المدني على مثال جزيه في الباعث وينقطع العمل عند ابتعاد القلم في الباعث وانقطاع المجرى

وقد قلنا اخيرًا انهُ يُقتضى للورق ان يرتفع ويتحرّك. وآلة رتشي تأتي بالامر على احسن منوال فانها ليس فقط تحرّك الورق في القابل بل تحمل القلم الى دواة ليجدّد حبرهُ. ولذلك يجب على الكاتب اذا انتهى من كتابة سطر ان يضغط ضغطًا قويًا على القلم فتضغطهُ هذا يحرّك مُخلًا (خ خ). والمُخل يرفع الورق بنحو ١٥ ملمترًا ويُجري مجرًى كهربائيًا يبلغ الى القابل فيصنع هناك ما صنعهُ في الباعث من تقديم الورق وتهيئتهِ للكتابة. وعلى هذه الصورة ترى انَّ كلَّ ما يجري في الباعث يتمّ ايضًا في القابل دون اختلاف فيقلد هذا حركات ذاك تمامًا وما رُسم في الباعث يُرسم في القابل كأنهُ صورتهُ بل كأنهُ هو هو. امَّا الكتابة فهي مشرقة ظاهرة لا اثر فيها للاهتزازات ولا تشويه مطلقًا وكذلك الرسوم والتصاوير والعلامات الموسيقيَّة

ومن فوائد هذا الاختراع انهُ يمكن من تنفيذ الرسائل الى الاصحاب والعمّال بخطّ يد الكاتب وذلك باسرع وقت بدلًا من مكاتيب البريد. والحق يُقال انَّ هذا الاكتشاف يُعدّ مع التلغراف والتليفون من اعظم عجائب عصرنا. سبحان الله مودع كنوز اسراره في الطبيعة ومرشد العقول النيّرة الى معرفتها لمنفعة الانام

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

على ان بعض الناس يأبون تصديق امر كهذا ويلحقونهُ بالاحاديث والقصص الخرافية التي لا حقيقة لها ولكن حكمهم غير ملاقٍ للواقع لان غرائز البهائم وحواسَّها قد تنمو نموًّا عجيبًا وحتى الآن لا يعرف العلماء مع كل ما قاموا بهِ من التجارب والامتحانات عند اي حدّ يقف هذا النموّ الذي قد يزيد زيادة عظيمة في بعض الاوقات بظواهر الفهم فينخدع بهِ المراقب اذا كان غير مدقق. ولقد اصاب قدماء العرب في اعتقادهم ان

البهائم تفطن الى كثير من الاشياء التي تغيب عن حواس الانسان الضعيفة ولذلك كانوا في مواقع الريب والشك يستسلمون الى نياقهم فيتركونها تجري على هواها. وقد ذكر التاريخ من هذا القبيل روايات هي في الحقيقة عجيبة (١

على ان مالكاً بدون ان ينتبه الى هذه التعليلات كلها كان قد اتخذ عادةً بان يترك حصانهُ « الريح » يجري على هواهُ وقطُّ لم يعرض لهُ من هذه العادة ما يحملهُ على الندم والاسف كما قد تقدم تقرير ذلك

ويوم كانا سائرين كلاهما على طريق طرابلس بين اهدن وأيطو كان « الريح » يمشي الهوينا بلا نشاط ولا همة فكان يكبو عند كل خطوة كأنهُ يأسف على السلوك في تلك الطريق مع انهُ كان من قبل ذلك يعدو كالغزالة في شعاب لبنان ومسالكهِ الوعرة وكان بين دقيقة وأخرى يأتي من الحركات ما يدلّ على رغبتهِ في الرجوع الى بشرّاي او يرسل صهيلاً يشبهُ بشكواه من الحالة التي هو فيها كما تفعل الفرس المُرضع اذا حُبس عنها فأوها

ولا ريب ان ما كان يبدو منهُ لم يكن الداعي اليهِ التعب واللغوب لانَّ الحاجب المذكور كان قد انقطع بحكم الضرورة عن الاسفار بسبب تعطل الاعمال في غياب الامير رزق الله

امَّا مالك فلم يفهم شيئاً من الدواعي الحاملة حصانهُ على تلك المشية الغير المألوفة وقد التزم مرارًا ان يشدَّ لهُ اللجام وينتهرهُ تارةً بصوتهِ وتارةً بحركاتهِ

وكان هو ايضاً دون ان يعلم السبب يشعر باتزعاج بال فكان قصر القليعة وجبل اللكام بعيدين عن لبنان وكذلك الاخبار القلقة عن جوسلين كانت قد انتشرت في كل البلاد وشاع بين اللبنانيين جميعاً انهُ قد نصب في ساحة قصره مشنقة دائمة وفي كل يوم يعلّق عليها واحدًا فاخذ مالك يقول في نفسهِ : انَّ جوسلين الذي اختطف الاب يوحنَّا واسلم دير القديسة تقلا للحريق ليس من شأنهِ ان يحترم حياة حاجب حقير نظيري

وبينما هو يُجيل هذه الافكار في ذهنهِ لاهياً بها طفر « الريح » طفرةً قويَّة اعادت اليهِ انتباههُ فرأى انَّ غابة الزيتون التابعة لقرية زغرتا ما زالت بعيدةً وانهُ قد صار الى السهل على ضفَّتي نهر جميل يسقي عددًا من الجنائن والبساتين بسقت فيها اشجار النخيل

(١) راجع كتاب الاغاني ج ١٣ ص ١١ و ج ١٥ ص ٩٦، ١٢٢ والازرقي وابن هشام الخ

متلألئة برؤوسها المرتفعة عجباً وتيهاً فوق أغراس البرتقال والتوت والزيتون. والتفت من هناك فلاحت له القلعة والابراج المبنية عند أسوار طرابلس وبان له انهُ بعد مسيرة نصف ساعة يدرك المدينة. فتذكر وقتئذٍ وصايا الامير فشدَّ اللجام بعنف ليغيّر وجهة سيره ويحمل الريح على سارك الطريق المؤدية الى جبل عكار غير ان الحصان أبى لاول مرَّة طاعة فارسه واصرَّ على المسير في طريق طرابلس او طريق بشرّاي فانتهرهُ مالك فلم يُجدِ الانتهارُ نفعاً فحاول استرضاءهُ بالكلام واخذ يخاطبهُ كما يخاطب رجلاً عاقلاً وهو يقول:

« ايها الريح رفيقي الامين انا عارف حقَّ معرفة انَّ السفر الى جبل اللكام ليس من ذوقك كما انهُ ليس من ذوقي ايضاً. ولكن يجب ان تعلم بأني لست حرًّا في ما اعمل وعليَّ ان أطيع أوامر المقدم فآمل منك اذًا ان تسمح لي بإيفائها. اذهبي يا غزالتي ولا تخشي مكروهاً لا عليك ولا على فارسك ». قال هذا واخذ يُمرّ يدهُ بلطف على عُنق الريح

امَّا الريح فحنى عنقهُ وظهر منهُ انهُ تجلَّد على ما ينفر منهُ ومشى في سهل طرابلس سالكاً الطريق الموصلة الى جبل عكار وبعد ان استراح مالك بضع ساعات في عَرْقة تغلغل في الجبل

. . . . . .

وكانت على سطح الجبل فوق النهر الكبير قرية اسمها فَليس وبالقرب منها فوق رابية صغيرة مشرفة أردية عميقة قصر قديم من بناء الفرسان المعروفين بالاسبيتاريَّة قد انفصل عن فليس بخندق منقور في الصخر. وكان القصر المذكور يشبه قلعةً وديراً معاً وهناك سور عظيم مشيَّد بقطع كبيرة من الحجارة يحيط بالاكمة الشاهقة التي قام القصر فوقها ويضمُّ ابنية ضخمةً مع كنيستين لم تزل آثارهما منظورة للان (١ وكان فوارس الاسبيتاريَّة قد زايلوا تلك الناحية من زمان مديد غير انهُ بقي على المدافن والاضرحة في كبرى الكنيستين المذكورتين حجارة كثيرة حاملة لتذكاراتهم. وكانت فليس موقعاً مهمًّا اولًا لانهُ يشرف على وادي النهر الكبير وثانياً لانهُ من جملة الطرق الموصلة

١) دوسو. ورحلتنا الى بلاد النصيريَّة

من طرابلس الى حمص وحماة ولهذا توجهت العناية في الزمان القديم الى تحصين هذا المركز الذي جعلتهُ الطبيعة على نوع ما منيعاً لا يُرام

ولمَّا اقام الفوارس الاسبيتاريَّة في قلعة فليس وجدوا هناك مزارًا شهيرًا حاويًا احدى صور العذراء القديمة التي كان الجميع يتواردون لاكرامها افواجًا من كل انحاء جبل عكَّار وجبل اللكام (١. وكان الزائرون لها من النصيريَّة لا يقلُّون عن زائريها من المسيحيين. فلمَّا حلَّ الاسبيتاريَّة هناك وامنت السبل بسطوتهم تزايد عدد الزائرين كثرةً وفي القرن الخامس عشر كانوا يتسابقون اليهِ تسابقًا غير حافلين بشيء من الحروب والحوادث التي ثار في تلك الناحية ثائرُها فكنت تراهم متوافدين من جميع الاماكن وليس لهم غرض سوى زيارة « سيدة القلعة »

وكانت قلعة فليس في ذلك العهد بين يدي سيد لبناني الاصل تابع للامير رزق الله ونظرًا لقلة العناية بصيانتها اخذت تبين عليها دلائل القدميَّة والعتق كسائر القلاع التي ترتقي الى زمان الصليبيين فكانت شرفات السور في كثير من المواضع قد تهدَّمت وخربت واجتمعت الردوم والحجارة وغيرها من الانقاض في الخندق الفاصل للقلعة عن القرية. الَّا انَّ هذه القلعة مع ما اصابها من الخراب ما زالت وقتئذٍ صالحة لان تكون مركز عضد ونجدةٍ للشعب المسيحي العديد المقيم في جوارها بقرى الدبابيَّة وكفرنون والرماح ومُنجز وعُزَير وغيرها (٢ فبالاعتماد عليها كان هؤلاء يردُّون اعتداءات النصيريَّة الذين اجبرتهم الحال على النزوح الى شمالي النهر الكبير فلمَّا كانوا قبلًا اسيادًا لجبل عكَّار مطلقي اليد فيهِ اخذوا الآن يحاولون ان يعودوا الى املاكهم القديمة في الناحية الجنوبيَّة

ولنعد الآن الى اخبار مالك فنقول انهُ لمَّا وصل الى قلعة فليس استقبلهُ صاحبها بغاية الهشاشة والايناس فكان اول ما اهتمَّ بهِ مالك المذكور انهُ اخذ يستفهمهُ عن أحوال جوسلين ليعلم هل تنجح مهمَّتهُ الصعبة التي أُرسل في شأنها ام لا فاجابهُ صاحب القلعة بما قوَّى املهُ بالنجاح قائلًا:

« لا ريب ان جوسلين لا يودُّ اصلًا ان يأتي الى بشرَّاي لكي يؤدي حسابًا عن

(١ المشرق ٣: ٤٥٥ ; ٥٦٦

(٢ وهذه القرى مذكورة في تآليف وسجلَّات القرون المتوسطة

سلوكه. غير أنه لا يترجح في بال احد انهُ يجسر على ان يخالف جهارًا أوامر المقدم رزق الله لان حريقهُ لدير حصن سليمان صيَّر مركزهُ في القليعة حرجًا وهيَّج عليهِ المسيحيين والنصيريَّة والاسماعيليَّة ايضًا بما ان الاب يوحنَّا كان مكرَّمًا ومعزَّزًا عنـد الجميع على اختلاف النِّحَـل. ومذ علم الناس برجوع الامير رزق الله ظافرًا منصورًا أخذ اتباع جوسلين يتخلَّون عنهُ من تلقـاء انفسهم حتى صار اشبه بالمحصور في قصره حيث لا يحرسهُ سوى زمرة من مؤتمنيهِ الذين شاركوهُ في كل ما امرهم بارتكابهِ من حوادث السلب والقتل »

— أتظنّ انهُ يرضى بان يرافقني الى بشراي

— لا استطيع تأكيد الامر. ولكني أعرف حق معرفة ان جوسلين رجل لئيم جبان ولا اظنهُ الآن وقد اكفهرَّت عليهِ الوجوه واظلمت لهُ الدنيا يجسر على ان يلحق سوءًا برسول الامير رزق الله. ومع كل هذا فانا عامد ان أرسل معك خفرًا من الجند

— لا فائدة من هذا في مهمة سلميَّة محضة بل الاحسن ان أسافر وحدي وسطوة مولاي وسيدي هي بعد الله تعالى افضـل واقوى لي. واذا مضت اربعة ايام ولم اعد الى قلعة فليس فارجو منك ان تتكرَّم بتنبيه المقدم رزق الله وتسرج شمعتين على هيكل السيدة. والآن اودعك على امل الملتقى قريبًا فادعُ لي بالنجاح

وما كاد يتمّ هذا الكلام حتى امتطى متن « الريح ». فاظهر الحصان في بادئ الامر بعض المقاومة غير انهُ ذلّ اخيرًا لفارسـهِ ونزل بهِ في الشِّعب الضيق المؤدي الى النهر الكبير. وكان سيد قلعة فليس قد ارتقى الى برج وجعل يرقبـهُ ببصرهِ فما مضى عليهِ نصف ساعة حتى شاهدهُ طالعًا من الناحية الثانية من الوادي وسائرًا نحو قريتي عُزَير وحالات في وجهة برج صافيتـا فندم على كونهِ تركهُ يذهب وحدهُ وخاف عليهِ الشرّ لان جوسلين قد طالما برهن على لؤمهِ اذا قدر. وسنرى في الفصول التابعة اي شيء أعدَّ لهُ في طي الغيب

١٤

حالما انتهى الى جبـل اللكام خبر رجوع الامير رزق الله منتصرًا ظافرًا جدَّ صاحب قصر القليعة في مزيد تحصينهِ وتقوية استحكاماتهِ خوفًا من امر مفاجئ يأتيهِ فامر باخراج جميع ما في اقبية القصر من آلات الحرب القديمة مثل المجانيق والكبوش

ومرامي النار وصفّفها على الاسوار . ونصب في قمة اكبر مُشرف من مشارفه آلات خفيفة يمكن تصويبها الى الغرض كما يُصوَّب المدفع فتقذف الى مدى بعيد نبالًا طويلة وقضبانًا من الحديد المحمى وسهامًا محرقة الى غير ذلك من وسائل الهلاك (١

وكان قد اختُرع البارود والمدفع من زمان قريب فأدخلها سلاطين مصر في جيشهم (٢ الّا انّ هذا الاختراع الحديث لم يكن قد وصل بعدُ الى جبل اللكام ولا كان جوسلين يعرف منهُ شيئًا الّا بالسمع والخبر . وكان قد اقام الرقباء ليلًا ونهارًا في أعلى البرج المشرف على الجسر النقّال الذي يوصل الى القلعة فكانوا يسهرون فيه دائمًا ملاحظين كل حركة تجري وكان هو ايضًا لكثرة اهتمامه واشتغال باله لا يفتكر بشيء من أنواع القصف واللهو والقنص التي كان يصرف فيها قبلًا معظم اوقاته بل كان يدور القصر على عدد الساعات متفقدًا أحوالهُ ومحرضًا المشتغلين في ترميم أسواره على مزيد النشاط في إصلاحها . وكان يراقب ايضًا ادخال المؤن والأقوات ويسهر على الحفر ويلاحظ كل شيء من كبير وصغير وبالجملة فقد كان يستعد للقيام بحصار طويل

ولا ريب ان خوفهُ من العقاب الذي كان يتوقّعهُ ويشعر بانهُ كان مستأهلًا لهُ كل الاستيهال قد بدّل حالهُ تبديلًا تامًا وبعد ان كان حليف خلاعة وفجور صار آيةً في النشاط والعمل حتى تعذرت معرفتهُ على رفقائه الذين ما كانوا يشاهدونهُ الّا والخوذة في رأسه والدرع على بدنه وهو يحرّض النفلة على الجدّ والحفر على الانتباه والسهر

على انّ الحامية القليلة المقيمة في القلعة كرهت هذه الحال وبدأت تتشكّى من وقوفها الدائم موقف الحرب والقتال وكانت كل يوم تزيد نقصًا بالفارّين من بين صفوفها . وفي اثناء ذلك كان اهل الجيرة ايضًا يزيدون تظاهرًا بعداء جوسلين على قدر زيادة ضعفه وضوحًا وأخذ القوم العديدون الذين ذاقوا طعم عفوه ينذرون بقرب سقوطه ويطالبونهُ بردّ الاملاك التي غصبهم أياها ظلمًا وعدوانًا وأخذ التصيريّة والاسماعيلية يهجمون بلا تهيُّب على أراضيه وأملاكه وينهبونها أمام عينيه وهو عاجز عن ان ينالهم بسوء

(ستأتي البقيّة)

---

١) راجع تأليف « رآي » في المستعمرات الشرقية

٢) صبح الاعشى للقلقشندي